

المسار التاريخي للمفاوضات الجزائرية الفرنسية
وطبيعة الصعوبات التي واجهتها
The Algerien negotiations historical
course and the difficulties it faced

د. فاتن العباسي *

جامعة الحاج لخضر-باتنة1-الجزائر.

مخبر الجزائر تاريخ وثقافة جامعة باتنة 1-

fatene.labbaci@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2020/06/16 تاريخ المراجعة: 2020/06/27 تاريخ القبول: 2020/11/05

ملخص:

دفعت مجموعة من الظروف الحكومة الفرنسية الدخول في مفاوضات ومحادثات مع جبهة التحرير الوطني من أجل الوصول إلى حل بسبب استنفاذها لجميع طاقتها، لتنتهي مرحلة من مراحل الحرب وتبدأ مرحلة جديدة لا تقل أهمية عن سابقتها كونها حرب دبلوماسية، ولكن الثابت تاريخيا أن الوصول إلى مثل هذه المفاوضات، لم يكن الوصول إليه بالسهولة التي نعتقدها، فقد مرّت المفاوضات الجزائرية الفرنسية بمراحل عديدة، كانت في البداية بمثابة جس للنفض، ثم تبعها المفاوضات التي انتهت بالاتفاقيات الرسمية التي تخلّتها مجموعة من الصعوبات والعراقيل أحيانا والتفاهم والتراجع أحيانا، بسبب محاولة الطرف الفرنسي إفشالها ووضع الطرف الجزائري تحت

* د. فاتن العباسي، جامعة الحاج لخضر باتنة1/الجزائر.

الشروط التعجيزية التي تفرضها وتراها مناسبة لها، لكن تمسك الجزائريين بموقفهم وصمودهم أمام أساليبها وسياساتها ومناوراتها وعدم التفريط في أي شبر من أرض الجزائر، جعل الحكومة الفرنسية تدرك أهمية المفاوضات وقوة الطرف الذي تتفاوض معه، لذلك رضخت للجلوس والتفاوض معه إلى النهاية.

الكلمات المفتاحية: المفاوضات، العمل الدبلوماسي، الشعب الجزائري، الثورة التحريرية، الحكومة الفرنسية، الجنسية الجزائرية، الحكومة المؤقتة، المنظمة السرية، اتفاقية إيفيان، الاستقلال.

Abstract:

a Group of circumstances prompted the French government to enter into negotiations and talks with the national liberation front in order to reach a solution because it had exhausted all its energies, to end a stage of the war and start a new stage no less important than its predecessor being a diplomatic war, but it is historically proven that reaching such these negotiations were not easy reach, as the French Algerian several stages, which at the beginning were tantamount to a pulse, than negotiations that ended with formal agreements interspersed with a group of difficulties occurred, understanding and obstacles sometimes occurred, understanding and sometimes occurred, understanding and sometimes retreating, due to the French party's attempts to foil it and put the Algerian party under the impossible conditions imposed by it and deem it appropriate for aton but the Algerians adhered to their steadfastness in front of their methods, policies and maneuvers and inch of the land of Algeria, made the French government aware of the importance of negotiations with it, and the strength of the party that negotiated with it, and therefore gave in to sit down and negotiate with him to the end.

Key words :negotiation ,diplomatic work, the Algerian people, the editorial revolution, the editorial revolution, the French government, Algerian nationality, the interim government, the secret organization, the evian agreement, independence.

مقدمة:

من المعلوم تاريخيا أن الثورة الجزائرية قد مرّت بمراحل طويلة وقطعت أشواطاً كبيرة من أجل إيصال القضية الجزائرية إلى الرأي العام العالمي، الذي كان يجهل ما يدور داخل الجزائر، وذلك بسبب سياسة التعتيم والتغطية التي اعتمدها السلطات الفرنسية، بحجة أن القضية الجزائرية مسألة داخلية فرنسية بحتة، لكن هذا الوضع لم يستمر وذلك بسبب قوّة الثورة الجزائرية في الداخل والخارج التي مكّنتها من رفع صوتها عالياً في مختلف المؤتمرات والمحافل الدولية عن طريق مؤسّساتها و مناضليها، لذلك لم يكن أمام فرنسا إلا خيار واحد وهو قبولها التفاوض مع جبهة التحرير الوطني، بعدما كلّفها خسائر فادحة على مختلف الأصعدة، رغم كل المخططات والمشاريع والبرامج التي طبّقتها من أجل إخماد الثورة التحريرية الجزائرية إلا أنها أثبتت فشلها، لكن عملية التفاوض تلك لم يكن الوصول إليها سهلاً وميسوراً، بل اعترضتها عراقيل وتحديات وصعوبات أثّرت بشكل كبير على مسارها قبل الوصول إلى الاتفاق النهائي لوقف القتال والحصول على الاعتراف بتقرير المصير للجزائريين.

1-دعوة جبهة التحرير الوطني للتفاوض والمطالبة بتقرير المصير للجزائريين

لقد أكّدت جبهة التحرير الوطني منذ نداءها الأوّل في الفاتح من نوفمبر 1954 عن رغبتها في التفاوض، من أجل تجنّب التفسيرات الخاطئة، والتهم الموجهة لها من طرف الحكومات الفرنسية المتمثلة في وقوفها ضد السلام، ومن أجل إبطال تلك الاتهامات فقد لجأت جبهة التحرير إلى تقديم عرض تمثّل في: فتح النقاش مع تلك الحكومات، واشترطت ثلاث شروط أساسية والتي تمثّلت في:
أولاً-تصريح الحكومة الفرنسية بالجنسية الجزائرية وإغائها لكل القرارات والمراسيم والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضاً فرنسية.

ثانيا- إجراء المفاوضات ⁽¹⁾ مع الناطقين الرسميين باسم الشعب الجزائري ثالثا- خلق مناخ ثقة تمثل في تحرير المعتقلين، وإلغاء كل التدابير الاستثنائية.

ولأجل تنفيذ هذا القرار فقد أكد المناضل بن يوسف بن خدة ⁽²⁾ بأن جبهة التحرير لم تشرك أيًا كان في مفاوضاتها مع فرنسا، كما أنها لم تستشر أيًا كان سواء من قريب أو بعيد حول هذا الموضوع، لأن الهدف الأسمى للثورة الجزائرية من استراتيجيتها وأسلوبها الخاص هي مواجهة التحديات، وإرغام الفرنسيين للتفاوض معها "نَدًا للنَد"، واعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري، والتكيف مع الزمن وسائل كفاحها حسب مفهومها الخاص التابع من إرادتها والمنسجم مع حجم امكانياتها والمنبثق من ايديولوجياتها التي أعلنتها منذ اللحظة الأولى في بيان أول نوفمبر 1954 وهي: "الكفاح بجميع الوسائل لتحقيق الهدف المنشود ألا وهو" الاستقلال" وتكوين دولة جزائرية ديموقراطية اجتماعية ذات سيادة في إطار المبادئ الاسلامية" ⁽³⁾، لكن في المقابل وعلى أرض الواقع فقد كان رد الحكومات الفرنسية بالرفض وهو أمر ليس مستغربا، فأقفلت بذلك كل محاولات التفاهم سواء تعلق الأمر بمحتوى المفاوضات المتمثل في "الاستقلال"، أو تعلق باختيار المفاوض الذي ستتفاوض معه وهو "جبهة التحرير الوطني"⁽⁴⁾، حيث كان الرد عن طريق وزير الدّاخلية الفرنسية آنذاك

(1). المفاوضات هي ذاك الحوار الذي يقع بين طرفين متناقضين من أجل التوصل إلى اتفاق بينهما على ما يختلفان فيه وهي لفظة آتية من اللغة الإيطالية، وبمعناها السياسي الراهن تعرف المفاوضات لدى الغربيين على أنها تبادل وجهات النظر بين قوتين أو أكثر بواسطة دبلوماسيتها أو مبعوثها، ينظر، مرتاض عبد المالك، لمعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية (1954- 1962)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص، ص 160، 159.

(2). من مواليد 23 فيفري 1920 بالبرواقية ولاية المدية التحق بحزب الشعب ثم أصبح مأمينا عامًا لعام 1953، إنظم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني عام 1955، وتقلد عدة مناصب منها عضوا في المجلس الوطني للثورة، وعضو بلجنة التنسيق والتنفيذ، ثم وزير للشؤون الاجتماعية في الحكومة المؤقتة الأولى ثم رئيسا لها ثم مقصداً لهمنا ساحة السياسية عام 1962، وعاد 1976 ليقيضه حكم هواري بومدين وأيضاً عن طريق تأسيس حركة الأمة. ينظر بن يوسف بن خدة اتفاقية إيفيان، تر:

لحسن زغدان ومحل العين جبائلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص.3.

(3). بن خدة بن يوسف، قصة المفاوضات مع فرنسا التي خاضتها الحكومة المؤقتة للجمهورية في هذا الشأن، مجلة أول نوفمبر، تصدرها المنظمة الوطنية للمجاهدين، عدد خاص، الجزائر، ص.32.

(4). مالك رضا، الجزائر في إيفيان -تاريخ المفاوضات السرية 1956- 1962، تر: فارس غاصوب، ط1 دار الفراي، لبنان، 2003، ص، ص 25، 35.

"فرانسوان ميتران" François Mitterrand في 3 نوفمبر 1954 قائلا: "...إن الحل الوحيد في الجزائر هو الحرب..."⁽¹⁾، وكان هذا التعنت والإصرار على الاستمرار في سياسة الحرب ناتج أساسا عن اعتقاد معظم الساسة الفرنسيين بأن ما حصل في الجزائر ليس إلا حوادث عابرة، سرعان ما يتم القضاء عليها بمنطق العنف والقوة مثلما تمّ القضاء على حوادث سنوات سابقة سواء في الجزائر أو غيرها...، خاصة وأن الذين قادوا تلك الحوادث هم فئة من قطاع الطرق والمجرمين لا هدف لهم سوى الاغتيال والقتل والخطف والإخلال بالأمن⁽²⁾.

وفي نفس الوقت لم تياس قيادة الثورة يوما من فكرة احتمال دخول فرنسا مع جبهة التحرير في المفاوضات والشروط التي تحددها هي، لأنّ الثورة بالنسبة لها ليست مجرد اقتتال بل هي إحدى وسائل العمل السياسي والديبلوماسية، وقد مكّنت هذه السياسة جبهة التحرير من إحراز مكاسب أصبحت بواسطتها الثورة الجزائرية تواكب الأحداث العالمية، فحقّزت الكثير من الشعوب والأمم للتضامن مع الجزائر⁽³⁾؛ حيث قامت 30 دولة من بين 39 دولة بالاعتراف بحق الجزائريين في تقرير مصيرها، عن طريق التصويت على الفقرة التي نصّت عليها المنظمة الأفروآسيوية والمتعلقة بهذا الحق بتاريخ 14 ديسمبر 1958، مذكّرين الحكومة الفرنسية برغبة الحكومة الجزائرية المؤقتة وفتح المفاوضات معها، وهنا لم تجد فرنسا من بين البعثات 19 الذين صوتوا ضد الحل الأفروآسيوي بعثة واحدة تدافع على أطروحتها، قامت فقط البعثة البريطانية بمعارضة الحل الأفروآسيوي، ولكنها لم تدافع عن هيمنة فرنسا على الجزائر⁽⁴⁾، وهذا ما شكّل عقبة أمام فرنسا ونجاحها

⁽¹⁾ بلحسين مبروك، المراسلات بين الداخل والخارج (الجزائر - القاهرة 1954-1956)، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004، ص 87

⁽²⁾ ابن فليس أحمد، السياسة الدولية للحكومة المؤقتة الجزائرية 1958-1962، رسالة ماجستير، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 1985، ص 396، 397

⁽³⁾ نفسه، ص 32

⁽⁴⁾ Dossier : n1/Numéro :26H/Dates 1958-01

سياسيا أمام الجزائريين ، حيث حققوا أكثر من 3/2 من الأصوات التي كانت تطالب بحق الجزائريين في الاستقلال، ودعوة الحكومة الفرنسية للتفاوض مع الحكومة المؤقتة⁽¹⁾، وينبغي الإشارة هنا إلى أنّ الحكومات المتعاقبة على الحكم في فرنسا منذ سنة 1954م لم تأخذ حل التفاوض بعين الاعتبار ولا قرارات وتوصيات منظمة الأمم المتحدة المنعقدة منذ 1956، ولا المنظمات الدولية الأخرى كالجامعة العربية المنعقدة بتاريخ 1957 وغيرها... بل بالعكس فقد حاولت هذه الحكومات أن تفرض حلولا فاشلة مثل فكرة الاندماج التي اقترحها جاك سوستال Jaques Soustelle سنة 1955، ووقف إطلاق النار والانتخابات والمفاوضات التي اقترحها غي موليه، أو القانون الأساسي والصيغ الأخرى التي لجأ إليها الجنرال ديغول Général DE GAULLE⁽²⁾ سنة 1958 بعد تولّيه الحكم⁽³⁾.

2- الأسباب والدوافع الحقيقية التي جعلت فرنسا تتفاوض مع جبهة التحرير:

أثبتت الضربات العنيفة التي وجهها جيش وجبهة التحرير الوطني لقوّات الاحتلال الفرنسي في الجزائر على إفشال معظم محاولاته بالاحتفاظ بالجزائر والاستمرار في احتلالها، وقد برز ذلك من خلال إسقاط حكوماتها السبعة⁽⁴⁾ بدأ من

¹⁾ Ibid

⁽²⁾ أبرز رجالات فرنسا في القرن العشرين ولدى مدينة ليل Lille بالشمال الفرنسي سنة 1890 في وسط عائلي محافظة، اتجه للعمل في الجيش والتحق بمدرسة سان سير Saint Cyr، وعين ضمن الكتيبة المشاة تحت قيادة العقيد بيتان Colonel Pétain، ترقى إلى رتبة ملازم أول، شارك في الحرب العالمية الأولى وترقى إلى رتبة نقيب وألقي عليه القبض من قبل الألمان وسجن، استدعي إلى مدرسة سان سير Saint Cyr لتعليم التاريخ العسكري فيها ثم أرسل إلى لبنان سنة 1929، وقد كتب كتاباً حول تجربته في منطقة الشرق الأوسط. وبعد عودته إلى فرنسا عين في السكرتارية العامة للدفاع الوطني وبقي مدة ست سنوات مما سمح له بلقاء زعماء السياسة والحكم. ينظر: بلجاح صالح، تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2009، ص-ص 92-95

⁽³⁾ بن خدة بن يوسف، مرجع سابق، ص 14

⁽⁴⁾ حكومة منداس فرونس Pierre Mendès France (نوفمبر 1954-5 فيفري 1955)، حكومة ادغار فور Edgar Faure (فيفري 1955_جانفي 1956)، حكومة غي موليه Guy Mollet (جانفي 1956_21 أفريل 1957)، حكومة بورجيس

1954 إلى غاية 1958، بالرغم من سعي كل الحكومات تطبيق برامج وأساليب وانتهاج سياسات تنوّعت بين العسكرية والسياسية والتكتيكية... إلا أنها أثبتت فشلها جميعا، بسبب قوّة الثورة الجزائرية، وفي نفس الوقت وكما أشرنا سابقا فقد قرّر قادة هذه الثورة الاعتماد على النشاط الدبلوماسي من أجل تحويل القضية الجزائرية إلى مسألة دولية، تدخل ضمن اختصاص الأمم المتحدة في دورتها العاشرة لعام 1955، كل هذا أدى إلى نجاح الحكومة المؤقتة في تحقيق نصر دبلوماسي هام خلال هذه الدورة⁽¹⁾، وفي غضون تلك التطورات تولّى الجنرال ديغول Général De Gaulle الحكم، ليجد نفسه أمام جيش قوي أثبت وفرض وجوده وانتشاره في مختلف أنحاء الجزائر، ولحسم الموقف لم يكن أمامه سوى الاعتراف بأنّ سمعة فرنسا أصبحت على المحك، وأنّه بات من غير الممكن التهرب من الرأي العام الدولي الذي كان مهتماً آنذاك بفكرة تصفيّة الاستعمار⁽²⁾، ونتيجة لتلك الوضعيّة بدأ القلق يستتبّ بالرأي العام الفرنسي الذي لم يعد يحتمل المزيد من التضحيّات، حيث تسارعت الأحداث في فرنسا وبدل أن توحد الصفوف زادت المعارضة الشعبية في فرنسا، وقد عبّرت عنه الكثير من المنظّمات كالمكتب الوطني لحركة السلام الفرنسي، ومنظمة الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا... ووصفتها بأنها أعمال لإنسانية ومعادية للسلام⁽³⁾، فانقسم الرأي العام الفرنسي وانضمت فئات كثيرة إلى معارضي الثورة في الجزائر على غرار رجال الكنائس الذين ندّدوا بأعمال التعذيب واستنكارها، وعاد هذا بالإيجاب على مسار الثورة

مونوري (مارس 1957_30 سبتمبر 1958)، حكومة فيليكس غايار Félix Gaillard (1957_أفريل 1958)، حكومة بيار فيلمان Pierre Vilmont (أفريل ماي 1958)، حكومة شارل ديغول Charles De Gaulle (جوان 28_ ديسمبر 1958)

(1) - رمضان بورعدة، الثورة الجزائرية والجنرال ديغول 1958، 1962م، سنوات الحسم والخلاص، ط1، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2012، ص. 362.

(2) - خرشي جمال، الاستعمار وسياسة الاستيعاب والإدماج في الجزائر (1830-1962)، تر: عبد

السلام عزيزي، دار القصة للنشر، الجزائر، ص500

(3) - أزغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية (1956-1962)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص. 214، 215.

التحريرية نحو تحقيق المزيد من الانتصارات على حساب التكتسات التي يمر بها الجيش الفرنسي⁽¹⁾.

نجد أيضا من بين الأسباب الخطيرة والمباشرة في حدوث هذه المفاوضات هو ظهور الانقسام داخل الجيش الفرنسي في الجزائر بسبب تأسيس المنظمة العسكرية السرية (OAS) عام 1961 التي انخرطت فيها مجموعات انفصالية متمردة من اليمينيين المتطرفين والفاشيين الجدد يقودهم جوزيف أورتييز Joseph Ortiz عضو الجبهة الفرنسية⁽²⁾، وانضمام أهم الضباط إلى صفوف هذه المنظمة مثل الجنرال ماسي Général Massu، صالان Salan، جوهو، وثاروا ضد الجنرال ديغول Général De Gaulle الذي كان يعول عليهم⁽³⁾.

من جانب آخر كان للجماهير الشعبية الجزائرية دور كبير في حدوث ذلك، وبرز ذلك من خلال استجابتها لنداء جبهة التحرير الوطني للكفاح ورفضها لسياسة التهدئة الديغولية المزعومة، وبرهنتها عن التفافها ومساندتها لها⁽⁴⁾ عن طريق تنفيذ العمليات الفدائية التي كلفتها بها اتحادية فرنسا لجبهة التحرير الوطني في فرنسا، ففي ليلة 25 أوت 1958⁽⁵⁾ نفذت 13 عملية اعتداء على ملحق قسم الشرطة ومفوضية الدائرة، تمّ فيها إحراق مخازن البترول بنواحي: "جانفيل" و"فيغري" و"نورماندي" Normandie، كما تعرّض مصنع التكرير التابع لشركة "أسيو ستاندار-Assio Standar" للتخريب، والاعتداء على مراكز الغاز بـ "روان" Rouan في المنطقة الباريسية

(1) نفسه، ص، ص214، 215.

(2) عمران عبد المجيد، جون بول سارتر Jean-Paul Sartre والثورة الجزائرية (1954-1962)، دار الهدى، الجزائر، ص120.

(3) يوسف أمحمد، منظمة الجيش السري ونهاية الثورة الجزائرية، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، موفم للنشر، 2011، ص46، 44.

(4) الداعي محمود، مظاهرات 11 ديسمبر 1960 وأثارها على القضية الجزائرية، إصدار جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس، باتنة -الجزائر، 1994، ص135.

(5) صاري أمحمد، دور المهاجرين الجزائريين في الثورة التحريرية، مجلة المصادر، العدد 01، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1999، ص243.

(1)، امتدت هذه العمليات من باريس إلى مدينة "تولوز" Toulouse الواقعة جنوب فرنسا، تمّ فيها تدمير مخازن للأسلحة وإحراق محطات للكهرباء، وكذا تفجير خزان "موريهان" بضاحية "مرسيليا" Marseille الذي التهمت فيه النيران حوالي 14 خزان للبتروك (2)، فكانت مفاجئة كبيرة للفرنسيين الذين أدركوا أن الثورة قد اجتازت حدود المتوسط وأصبحت تهددهم في عقر ديارهم (3).

من النقاط الأساسية والهامة أيضا والتي حققتها جبهة التحرير وكانت في صالح قضيتها هي نقل صدى الثورة الجزائرية إلى الرأي العام الفرنسي والدولي عبر التغطيات الإعلامية الواسعة من قبل الصحافة الفرنسية والأمريكية والبريطانية...، فقد ساهم ذلك بشكل كبير في دفع منظمة هيئة الأمم المتحدة في الإسراع إلى مناقشة القضية الجزائرية وسط تضامن دولي متزايد (4)، لتناقش سياسيا ودبلوماسيا، فخلقت بذلك وضعيّة جديدة ما لبثت أن فرضت نفسها على الجميع، وهي ما أثر على سياسة الجنرال ديغول Général De Gaulle حيث أرغمته للجوء إلى حل آخر لعلّه يمكنه من الخروج من تلك الأزمة (5).

لقد أدت كلّ الظروف والتطورات الخطيرة التي ذكرناها إلى الإسراع بالدخول في مفاوضات جدية مع جبهة التحرير الوطني (6)، فبعد كل هذه الأحداث المتعاقبة على نظام الجنرال ديغول وسياسته في الجزائر شعر بأكبر هزة دفعته إلى ضرورة الإسراع لإيجاد حلّ للقضية الجزائرية (7)، لذلك لم يبق أمامه سوى الاعتراف بذلك، والدخول

(1) قداش محفوظ، وتحررت الجزائر، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 2011، ص 130.
(2) بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20، ط 2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ج 2، ص 191.

(3) نفسه، ص 191

(4) بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997، ص 521.

(5) عباس محمد، نصر بلا ثمن (الثورة الجزائرية 1960-1961)، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2007، ص 617

(6) بزيان سعدي، جرائم فرنسا في 17 أكتوبر 1961 بباريس من خلال المصادر الجزائرية الفرنسية، مجلة المصادر، العدد 06، الجزائر، 2002، ص 80

(7) الزبير محمد العربي وآخرون، كتاب مرجعي عن الثورة الحربية (1954-1962)، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 269

في مفاوضات مع الحكومة المؤقتة الجزائرية بعد أن اقتنع بفشل مشاريعه، وهنا قال مقولته الشهيرة "لقد فهمتكم" لتكون بمثابة اعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، ومن هنا بدأت المفاوضات التي تمت بعدة مراحل⁽¹⁾

3- المراحل والبدايات الأولى للمفاوضات

لقد مرت هذه المفاوضات بعدة مراحل سرية جمعت الطرفين قبل أن تصبح رسمية، وكانت البداية منذ سنة 1956 وهي أولى الاتصالات السرية التي جرت بين الطرف الجزائري والفرنسي، وقع لقاء 12 أبريل 1956 بالقاهرة بين جوزيف بيغارا ومحمد خيضر، ثم أتبع بلقاء 26 جويلية 1956 ببلغراد بين محمد يزيد وأحمد فرانسيس وبيير مرميين، بعدها بشهور جرى لقاء في 2 سبتمبر 1956 بروما جمع بين محمد خيضر ومحمد يزيد وعبد الرحمن كيوان، ثم تلاه مباشرة لقاء 22 ديسمبر 1956 ببلغراد الذي جمع بين محمد خيضر والأمين دباغين وبيار هيربوث، ولكنها توقفت بسبب اختطاف الطائرة المقلّة للوفد الخارجي بتاريخ 22 أكتوبر 1956 وتم استئنافها مرة أخرى بعدما كلف كل من عبد الرحمن فارس والعقيد عميروش بالاتصال به للبحث في مسألة وقف إطلاق النار على أساس الانتخابات لكتّنها باءت بالفشل⁽²⁾.

عموما ما نلمسه من تلك اللقاءات، فإنها كانت عبارة عن جسّ نبض بالنسبة للفرنسيين هدفوا من خلالها إلى مواصلة الحرب ومحاولة اجتياز مرحلة عسيرة جدّا بسبب التفكك الذي أصاب أجهزة حكومتهم، والقضاء على سبع حكومات فرنسية، وتكبيد اقتصادها خسائر قدرت بثلاثة ملايين فرنك فرنسي قديم، أي ما يعادل 20 مليار فرنك فرنسي" حاليا، ناهيك عن ما بلغته الثورة الجزائرية من توسّعات، وإقناعها للرأي العام العالمي بعدالة القضية الجزائرية، ومع ذلك فقد ظلّت السلطات الفرنسية تراوغ

⁽¹⁾ لونيبي رابح، محطات وقضايا مفصلية في مسار الثورة الجزائرية ومستقبلها، دار المعرفة، الجزائر، 2012، ص 110، 116.

⁽²⁾ ابن خدة بن يوسف، مرجع سابق، ص 136، 137.

بين أسلوب "المزاوجة بين التفاوض وإحباطها، وبين إظهار الرغبة في السلم و الاستمرار في الحرب"⁽¹⁾.

ودون الاستطرداد في ذلك فإنه يمكن أن نشير إلى أن أول اتصال مباشر جمع بين جهة التحرير الوطني والحكومة الفرنسية مثله مندوباها محمد الصالح بن يحيى وأحمد بومنجل، وكان ذلك في الفترة الممتدة من 25 إلى 29 جوان 1960 في مدينة مولان الفرنسية، لكن هذا اللقاء فشل بسبب الصعوبات والضغوطات التي مورست على المندوبين، كعاملتهما على أساس متمردين والقيام بعزلهما، وحرمانهما من القيام بأي اتصال مع الخارج سواء مع الصحافة أو غيرها...⁽²⁾، وقد كانت كل المؤشرات تدل على حرص الجنرال ديغول التفاوض على قضايا لم تكن مدرجة في جدول أعمال المفاوضات مثل قضية الولاية الرابعة ووقف إطلاق النار وغيرها... دون علم الحكومة المؤقتة، ولأن هذا الأخير لم يستطع فرض سيطرته وشروطه على الوفد المفاوض، قام بحسم الموقف عن طريق توزيع "عمليات شال" opération Challe التي تدعم قواته المسلحة في الجزائر هذا من جهة، ومن جهة أخرى لجوئه إلى سياسة الدعاية والتشويه عبر وسائل الإعلام بأن: "فرنسا تدعو للسلام و الحكومة المؤقتة الجزائرية ترفضه" "محملة إياها مسؤولية ذلك"⁽³⁾، وعموما هذه الأساليب التي مارسها الجنرال ديغول ومحاويلته فرض الاستسلام غير المشروط على الجزائريين كشرط مسبق قبل إجراء أي مناقشة سياسية، جعله محطة سخرية واستهجان من قبل الجميع،

و تخيب آمال شعبه الذي رأى فيه "رجل السلام في الجزائر"، فزاد ذلك من غضبه وسخطه يوما بعد يوم، وطالب بإنهاء الحرب في الجزائر والدعوة إلى السلام العادل⁽⁴⁾

بعد مرور ثمانية أشهر على لقاء مولان بدأت الاتصالات الجدية في مدينة لوسارن Lucerne بسويسرا وتحديدًا في شهر فيفري 1961، واستمرت إلى

(1)- Dossier:n9/Numéro:29H/Dates1958-09

(2)- بن خدة بن يوسف، مرجع سابق، ص، ص31،32

(3)- نفسه، ص31،32

(4)Carton n°R24200 dossier 11A.

غاية 19 مارس 1962 وكانت بذلك بداية للمفاوضات الرسمية، و لكن الذي ميّز تلك الفترة أنها كانت عسيرة وشاقّة⁽¹⁾، في غضون ذلك برز أيضا ممثل عن حكومة الجنرال ديغول Général De Gaulle يدعى "جورج بومبيدو" George Pompidou إلى جانب برونو دولوس Bruno De Leusse، وممثلان عن الحكومة الجزائرية المؤقتة هما الطيّب بولحروف⁽²⁾ وأحمد بومنجل⁽³⁾

4- الصعوبات والتحدّيات التي واجهت المفاوضات بين الطرفين

واجه المفاوضات الجزائرية الفرنسية في بداياتها الأولى عدة عقبات، وبرز ذلك في اجتماع المجلس الوطني للثورة بطرابلس، حيث كان هناك تناقض كبير بين الاعتراف بمبدأ تقرير المصير من جهة ورفض المفاوضات واستعداد الحكومة الفرنسية لمواصلة الحرب من جهة أخرى، فقد تخوّف المجلس الوطني للثورة الجزائرية من تهزّب الحكومة الفرنسية من التفاوض بحجّة أن القادة المعيّنين بالمفاوضات موجودين في السجن، مما شكّل عائقا في استئناف تلك المفاوضات، إضافة لمواصلتها القتال حتى بعد اعتراف الجنرال ديغول بقبوله التفاوض معه، ويمكن ذكر البعض من تلك العقبات الداخليّة التي اعترضت مفاوضات إيفيان Evian بشروطها الأولى والثاني بدءا بمحادثات "مولان" Moulins، حيث أرسلت الحكومة الجزائرية وفدًا لتحضير لقاء بتاريخ 20 جوان 1960 يجمع بين فرحات عباس باعتباره رئيسا للحكومة الجزائرية المؤقتة والجنرال ديغول، فرفضت الحكومة الفرنسية ذلك اللقاء وانقطع الاتصال⁽⁴⁾، ومما زاد

⁽¹⁾ تبين ذلك جليا من خلال المظاهرات التي امتدت من 10 إلى 13 ديسمبر 1961م.

⁽²⁾ من مواليد 1923 في واد الزناتي انخرط في حزب الشعب فترة الحرب العالمية الثانية، شارك في عملية رفض التجنيد الإجباري، انخرط في حزب اصدقاء الحريات، شارك في تنظيم مظاهرات في 1 و8 ماي 1945، عين مندوبا لحزب الشعب في منطقة قسنطينة، اعتقل سنة 1950 عند اكتشاف المنظمة انضم لصفوف جهة التحرير ولعب دورا مهما في المفاوضات خاصة في روما و لوسارن و إيفيان الأولى والثانية، نجا من محاولة الاغتيال مرتين، بعد الاستقلال عين سفيرا للجزائر في بلغراد و روما و ليما. ينظر: مالك رضا، مرجع سابق، ص 372، 373.

⁽³⁾ ابن خدة بن يوسف، مرجع سابق، ص 31، 32.

⁽⁴⁾ فاضلي إدريس، حزب جهة التحرير الوطني عنوان ثورة ودليل دولة، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر

من عرقلة تلك المفاوضات أيضا هو إعلان لويس جوكس Louis Joxe رغبة حكومته إجراء مفاوضات مع اتجاهات أخرى⁽¹⁾؛ ويقصد بذلك المصاليين⁽²⁾، فبرزت أزمة حادة شكّلت تحديًا كبيرًا على مستقبل المفاوضات للسير بها نحو النجاح والخروج بنتيجة إيجابية⁽³⁾ وهو ما رفضته جبهة التحرير واعتبرت أن لا فائدة من دخولها عملية المفاوضات مع الطرف الفرنسي، في الأخير قبلت الحكومة الفرنسية هذا الشرط وتمّ اللقاء بين الطرفين لكنها فشلت نتيجة للعراقيل التي قامت بها هذه الأخيرة⁽⁴⁾.

تميّزت الفترة الممتدة ما بين 13 فيفري 1960 و1961 بالتفجيرات النووية التي قامت بها الحكومة الفرنسية في الصحراء بمنطقة "رقان"، وقد كان لهذه التفجيرات أثر واضح في عرقلة المفاوضات، حيث أراد الجنرال ديغول من خلال تلك التفجيرات الاحتفاظ بالصحراء الجزائرية مهما كلفه الثمن⁽⁵⁾، هذه النقطة بالذات كانت مهمة في استراتيجية الجنرال ديغول بالاحتفاظ بمنطقة "حماقير" و"إن إيكر"، التي كانتا بمثابة قواعد لتجارب نووية، لذلك كان الوفد الفرنسي متشدداً بهذه النقطة بالذات⁽⁶⁾، كما حاولت فرض منطقتها على المفاوضات بفرض التقسيم والامتيازات الخيالية للأقلية الأوربية، وتسببت هذه القضية في فشل مفاوضات إيفيان الأولى وكادت تتحول دون اعتراف فرنسا باستقلال الجزائر⁽⁷⁾، فقد أخذت هذه المسألة وقتًا كبيرًا من زمن المفاوضات، ولم تحقّق أي تقدّم رغم مجهودات الوسيط السويسري أوليفي لونغ

(1) مع اقتراب لقاء "إيفيان" برز بعض قادة الحركة الوطنية معيّنين عن رغبتهم بالمشاركة في المفاوضات باعتبارهم "قوة ثالثة"، وهو ما رغب به الفرنسيون.

(2) قداش محفوظ، مرجع سابق، ص 276

(3) نفسه، ص 276

(4) -سعد الله عمر، مرجع سابق، ص 352، 350

(5) -الزبير محمد العربي وآخرون، مرجع سابق، ص 229، 228

(6) -مالك رضا، مرجع سابق، ص 28، 26

(7) -بورغدة رمضان، الثورة الجزائرية والجنرال ديغول (1958-1962)، ط 1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، 2012، ص 438، 437

Olivier Long⁽¹⁾، حيث اعتبرت الصحراء من أكبر التحديات الداخلية التي واجهت مفاوضات إيفيان امتدّت حتى إلى مباحثات "لوسارن" في 20 فيفري 1961، ومباحثات "نوشاتل" Neuchâtel التي فشلت هي الأخرى بسبب عدم تطابق وجهات النظر بشأنها، إضافة لقضيّة قاعدة المرسى الكبير⁽²⁾، واستمرت حتى مع بداية مفاوضات إيفيان الأولى في 20 ماي 1961، أين توقفت هي الأخرى بسبب مناورات فرنسا في فصل الصحراء عن الشمال، واستمرّ ذلك حتى غاية محادثات لوگران والتي فشلت هي الأخرى⁽³⁾، لقد نالت الصحراء حصة الأسد في كل أطوار المفاوضات لتكون بذلك أكبر العراقل التي واجهت مفاوضات إيفيان، والتي كانت سببا في إطالتها وفشلها في عدة مرات⁽⁴⁾. إضافة لتلك القضايا نجد أيضا التباعد الكبير من حيث وجهات النظر بين الطرفين، ويتّضح ذلك من خلال ما أدلى به "لويس جوكس" Louis Joxe في 13 جوان 1961 بقوله: "توجد بيننا وبين جبهة التحرير مشاكل تفرّقنا وهي أن فرنسا تريد ضمانات فعلية تقدّم للأقلية الأوربية ومشكلة الصحراء"⁽⁵⁾.

وعلى غرار قضية الصحراء ومشكلة الأقلية الأوربية، نذكر كذلك أحد العراقل الداخلية التي تسببت هي الأخرى في عرقلة سير هذه المفاوضات، والمتمثلة في هيئة الأركان التي زودت بفرص كثيرة لمهاجمة الحكومة المؤقتة منذ بدأ الاتصالات الأولى في مولان إلى غاية التوقيع على اتفاقيات إيفيان⁽⁶⁾، حيث اعترضت على الأسلوب الذي اتّبعته الحكومة المؤقتة في إدارة المفاوضات، كما شكّكت في صلاحيات الأشخاص المختارين لإجرائها، فبعد محادثات مولان ازدادت لهجة الهيئة أكثر حدّة وذلك عند بدأ المفاوضات في 07 أفريل 1961، فقدّمت جملة من الانتقادات، استهدفت بشكل

(1) -فاضلي إدريس، مرجع سابق، ص 126، 125.

(2) -خامس سامية، 19 مارس 1962 مسيرة نحو النصر والتحرر من النير الاستعماري، مجلة

الرائد، العدد 02، الأبيار- الجزائر، 2002، ص 12

(3) -فاضلي إدريس، مرجع سابق، ص 126

(4) -خامس سامية، مرجع سابق، ص 12

(5) -بورغدة رمضان، مرجع سابق، ص 437

(6) -بلحاج صالح، جذور السلطة في الجزائر، دار بن مرابط، الجزائر، 2014، ص 80.

خاص كريم بلقاسم الذي عين لرئاسة الوفد المفاوض، وكذا بقية الأعضاء المشاركين، وكانت الهيئة تهدف من وراء تلك المعارضة تأجيل الشروع في المفاوضات، فعبرت عن معارضتها لها ولم تتخلّى عنها حتى بعد التنازل الذي حصلت عليه من الحكومة المؤقتة، التي طلبت منها أن تعين اثنين من أعضائها للمشاركة فيها، لكن ردّها جاء بالرفض، وزادت الخلافات أكثر أثناء حادثة الطيار الفرنسي الذي وقع أسيرا في صيف 1961 بين أيدي جيش الحدود، والتي اتخذتها هيئة الأركان ذريعة لتقديم استقالته⁽¹⁾، وقد استمرت في تحديها للحكومة المؤقتة بهدف إفشال مفاوضات إيفيان⁽²⁾، وذلك حين اشتدّ الخلاف بين كريم بلقاسم والعقيد هواري بومدين حول بنود اتفاقية إيفيان، حيث اعتبرها هذا الأخير مجحفة بحق الجزائريين، ممّا أدى إلى فتح المجال لتبادل الاتهامات بينهما، وعندما انتهت مفاوضات إيفيان بتوقيع وقف إطلاق النار، أصدرت بعدها قيادة الأركان بيانا بتوقيع من العقيد هواري بومدين وعلي منجلي وأحمد قايد، تعبر من خلاله الرفض التام لهذه الاتفاقيات، فشكّل ذلك تحديًا كبيرًا للحكومة المؤقتة⁽³⁾.

نجد كذلك من بين العقبات التي واجهت هذه الاتفاقيات رفض الوفد الفرنسي التوقيع المشترك عليها، وظلّ متمسكا بالصيغة المتمثلة في التوقيع على محضر مرفوق بتصريح مشترك، يتضمّن من ناحية تقرير المصير وتنظيم الفترة الانتقالية، ومن ناحية أخرى يضع مواصفات نظام الاستقلال في إطار التعاون، كما رفضت الحكومة المؤقتة هي الأخرى مصطلحي "الاتفاقيات والمعاهدات"، لأنها لم تكن تعترف بوجود دولة ولا حكومة جزائرية، وطالبت بالتعامل معه باسم مصطلح "الحكومة" معتبرة إياه ناطق باسم حركة سياسية هي "جبهة التحرير الوطني"⁽⁴⁾

(1) بلحاج صالح، الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2008، ص، ص 488.491

(2) بن حمودة بوعلام، الثورة الجزائرية (ثورة أول نوفمبر 1954) معالمها الأساسية، دار النعمان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 561

(3) نفسه، ص 561

(4) بلحاج صالح، مرجع سابق، ص 419.

افتتحت المفاوضات من جديد يوم 7 مارس 1962 بمدينة إيفيان وقد ترأس كريم بلقاسم الوفد الجزائري المتكون من لخضر بن طوبال وسعد دحلب ومحمد يزيد ورضا مالك ومصطفى بن عودة والطيب بولحروف ومحمد بن يحيى والرائد مصطفى، وقام الأعضاء بإجراء بعض التعديلات على نص البيان والتنازل على بعض النقاط، وبعد 12 يوم من النقاش بين الوفدين تمّ الاتفاق على وقف إطلاق النار، وأمضى كريم بلقاسم على بيان وقف إطلاق النار باسم الوفد الجزائري يوم 18 مارس، وفي نفس اليوم أعلن بن يوسف بن خدة باسم الحكومة المؤقتة، وبموافقة المجلس الوطني للثورة الجزائرية وقف إطلاق النار في كامل التراب الوطني، بدءاً من يوم الاثنين 19 مارس 1962 في منتصف الليل، وأمر باسم الحكومة الجزائرية المؤقتة كل القواعد المسلحة وجيش التحرير إيقاف جميع العمليات العسكرية، وفي نفس الوقت أعطى الجنرال ديغول Général De Gaulle نفس الأوامر للجيش الفرنسي، كما أفرج عن المساجين الخمسة وتوجهوا مباشرة نحو المغرب على متن طائرة أمريكية مؤجرة من قبل ملك المغرب⁽¹⁾.

بعدما قطع الطرفان كل هذه المراحل حدث ما لم يكن في الحسبان، وهو قرار "سالان" Salan إعادة إعلان الحرب من جديد وتصريحه بأن المنظمة السرية ستحوّل كل شيء إلى مأساة⁽²⁾، لتبدأ بالتقتيل والتدمير وممارسة ما يعرف بسياسة الأرض المحروقة⁽³⁾، فقررت تمزيق الاتفاقية وعبرت عن ذلك في منشور لها صدر بتاريخ 20 مارس 1962 جاء فيه: "إن وقف إطلاق النار لا يعني السلم⁽⁴⁾، واعتبروا بأن الضمانات التي انتزعتها المفاوضات الفرنسيون سوف لن تحترم، وأن مصيرهم غير مستقر فعبروا عن إنكارهم لوقف القتال بقولهم: "إن وقف القتال لا يمنع تطوّر الأحداث، وأنّ المنظمة

(1) - حاروش نورالدين، قراءة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الأمة للطباعة والنشر-الجزائر، 2012، ص 349، 348.

(2) Peire Vallaud , La Guerre D'Algérie (de la conquête a l'indépendance (183-1962), Paris, Edition Acropole, 2012, p 254

(3) - خرشي جمال، مرجع سابق، ص 513

(4) - تواتي دحمان، منظمة الجيش السري ونهاية الإرهاب الاستعماري في الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع، باب الزوار-

الجزائر، ص 311

ستعمل على إحباط تطبيق الاتفاقية وأنّ الكفاح الحقيقي مازال في بدايته⁽¹⁾، وفي غضون ذلك ضاعفوا هجوماتهم واعتداءاتهم، وشكّل ذلك ظرفا حالكا للجزائريين، فكان شهر مارس مأساة حقيقية بسبب الأعمال الوحشية التي قامت بها تلك المنظمة⁽²⁾، فخلقت بذلك عقبة كبيرة أمام هذه الاتفاقيات من خلال استفتاء 08 أبريل، بتصويتها بـ "لا" ورفضها لها⁽³⁾ في حين صوّت الشعب الفرنسي في فرنسا بأغلبية 90.78% لصالح الاتفاقيات، وهذا ما اعتبر لطمة للمنظمة التي طالما سعت لمنع تطبيق هذه الاتفاقيات⁽⁴⁾، لذلك كان ردّ فعلها القيام بعمليات إرهابية في المدن الجزائرية خاصة، وهران والجزائر العاصمة، ساهمت في نشر الفزع والرعب لدى الجزائريين أودت بمقتل 12000 جزائري حسب الإحصائيات الفرنسية⁽⁵⁾، وباقتراب يوم الاستفتاء دخلت في اتصالات سرية مع جبهة التحرير الوطني انتهت بتوقيع اتفاق هدنة بتاريخ 17 جوان 1962 بين سوزيني Suzini وشوقي مصطفى⁽⁶⁾، وصرّح شوقي مصطفى من إذاعة الجزائر بعدما تمّ الاتفاق بين الهيئة التنفيذية وممثلي المنظمة العسكرية في ذات اليوم بأن ممارسة الحقوق المدنية مضمونة للجميع في الجزائر المستقلة⁽⁷⁾، وبهذا الاتفاق انتهت المنظمة التي كانت من أخطر العقبات الخارجية التي واجهت اتفاقيات إيفيان بشواطئها⁽⁸⁾.

5- انتهاء مرحلة المفاوضات والاعتراف بحق الجزائريين في تقرير المصير:

-
- (1) -حماميد حسينة، مرجع سابق، ص 290.
(2) -يوسفي أمحمد، مرجع سابق، ص 92، 97.
(3) -شريط عبد الله، شريط عبد الله، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية 1962، مطبعة الشروق، منشورات وزارة المجاهدين، القبة -الجزائر، ص 110.
(4) -حماميد حسينة، مرجع سابق، ص 320.
(5) -شريط عبد الله، دس، ص 95.
(6) -حماميد حسينة، مرجع سابق، ص 398.
(7) -بن حمودة بوعلام، مرجع سابق، ص 583.
(8) -يوسفي أمحمد، مرجع سابق، ص 97.

بدأت الاستعدادات للاستفتاء عن تقرير المصير والذي حدّد في 1 جويلية 1962، وفي هذا الصّدّد دع ممثل الأوربيين "سوزيني" Suzini إلى المصالحة طالبا من المستوطنين التصويت "بنعم للجزائر الشجاعة"⁽¹⁾، ومع اقتراب نهاية المرحلة الانتقالية⁽²⁾، واصلت الهيئة التنفيذية مهمتها بوضع أسس الجزائر الجديدة فقام "شوقي مصطفى" بتحضير الاستفتاء وكل ما يتعلّق بأوراق التصويت، كما قام السيد "شنتوف" بضبط القوائم الإدارية وإرسالها إلى الولايات والدوائر ثمّ توزيعها على البلديات⁽³⁾، وبعد استشارة الحكومة المؤقتة الجزائرية والحكومة الفرنسية حدّدت الهيئة التنفيذية تاريخ إجراء الاستفتاء وهو الفاتح من جويلية 1962، رسم هذا التاريخ في لقاء تمّ بين لويس جوكس Louis Joxe وسعد دحلب، وقد أشرفت جهة التحرير الوطني على إذاعة بيانات أكّدت فيها على أهميّة النصر المحقّق وجسامة تضحيّات الشعب ونهت إلى ضرورة اليقظة، وفي الجهة المقابلة تدخل الرئيس ديغول في كلمة موجّهة إلى الشعب الفرنسي و الجزائري بتاريخ 08 جوان 1962، جاء فيها: "بعد 23 يوما سيصادق الشعب الجزائري خلال الاستفتاء على اتفاقيات ايفيان وسيُرسَم الاستقلال والتعاون مع فرنسا، كما فعل الشعب الفرنسي في استفتاء 08 أبريل 1962، وستفتح مرحلة جديدة من العلاقات بين الجزائر وفرنسا"⁽⁴⁾، وبعدما تمّ الاتفاق على تحديد تاريخ الاستفتاء، وتشكيل لجنة أسندت رئاستها إلى المحامي ساطور القيادي السابق في حزب البيان، عندها سارعت اللّجنة إلى وضع الترتيبات اللازمة مثل تنصيب اللجان الولائية، والشروع في إحصاء الناخبين بما في ذلك المقيمين خارج التراب الجزائري⁽⁵⁾، وفي مطلع الفاتح من جويلية 1962 سارع الشعب الجزائري و الأوربيون إلى مكاتب الاقتراع للتصويت⁽⁶⁾، في جو ساد الهدوء، وكان عدد المسجلين

(1)-حماميد حسينة، مرجع سابق، ص 227.

(2)-أوليفي لونغ، مرجع سابق، ص168.

(3)-عبدالرحمن فارس، مرجع سابق، ص185.

(4)-بن حمودة بوعلام، مرجع سابق، ص583.

(5)-عباس محمد، مرجع سابق، ص746، 747.

(6)-حماميد حسينة، مرجع سابق، ص226، 227.

للتصويت أكثر من 90%⁽¹⁾، تضمّنت استمارة الاستفتاء الإجابة "بنعم" أو "لا" أي هل تريدون أن تصبح الجزائر دولة مستقلة متعاونة مع فرنسا في إطار الشروط التي حددتها تصريحات 19 مارس 1962؟⁽²⁾، أمّا نتائج الاستفتاء فكانت بتصويت أغلبية الشعب الجزائري "بنعم" بنسبة 99.59%⁽³⁾، وقد وقّع على هذه النتائج أعضاء اللجنة الوطنية للمراقبة وهم: الرئيس قدور ساطور، والأعضاء: الهادي مصطفى، عمار بن تومي، عبد اللطيف رحال، أحمد هني، ألكساندر شاليه Alexandre Chalaye، جون قيوت Jean Guillot، وأعلنت النتائج الرسمية من قبل قدور ساطور صبيحة يوم 03 جويلية 1962، وفي نفس اليوم وجّه الجنرال ديغول رسالة إلى عبد الرحمن فارس وذلك بواسطة المحافظ السياسي كريستيان فوشيه Christian Fouchet وجاء فيها⁽⁴⁾: "إن فرنسا تعترف رسمياً باستقلال الجزائر"⁽⁵⁾، وفي اليوم الموالي من الإعلان قرّر أغلبية الأوروبيين الرّحيل، وأنزل العلم الفرنسي من طرف جنود فرنسيين في ساحة روشي نوار Rochet Noir بيومرداس، ورفع مكانه العلم الجزائري، كما فتحت الحدود الجزائرية التونسية والحدود الجزائرية المغربية ليعود الآلاف من اللاجئيين إلى أرض الوطن⁽⁶⁾، وعلى إثر هذا الإعلان أيضاً أعلنت فرنسا تعيين سفيرها الجديد لدى الجزائر المستقلة⁽⁷⁾، وفي الخامس من جويلية 1962 قام الرئيس بن خدة بن يوسف

(1) -ديغول شارل Charles De Gaulle، مذكرات، تر: سموي فوق العادة، ط1، منشورات عويدات، بيروت- لبنان، ص14

(2) -سعد الله عمر، مرجع سابق، ص.360.

(3) -إحدادن زهير، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية (1954-1962)، ط1، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع، حسين داي -القبّة، 2007، ص.96.

(4) -بن حمودة بوعلام، رجع سابق، ص.586، 587.

(5) -ديغول شارل Charles De Gaulle، مذكرات، تر: سموي فوق العادة، ط1، منشورات عويدات، بيروت- لبنان، ص146

(6) -نفسه، ص.227

(7) -أوليفي لونغ Olivier Long، مرجع سابق، ص.169

مع فرق من جيش التحرير باستعراض ضخّم في شوارع مدينة الجزائر حضرته الجماهير الشعبية⁽¹⁾.

6-ردود الأفعال داخليا وخارجيا حول اتفاقية إيفيان

واجهت اتفاقية إيفيان عدّة ردود مختلفة سواء من الداخل أو الخارج، تميّزت مرّة بالتأييد ومرّة أخرى بالرفض، لذلك نجد أن هذه الأطراف انقسمت إلى ثلاثة اتجاهات متباينة، الاتجاه المتحمّس ومثله كل من فرحات عباس وبن خدة بن يوسف، هذا الاتجاه كان أكبر همّة التركيز على السيادة الوطنية والوحدة الترابية، بغضّ النظر عن الإشكالات الأخرى كارتباط الجزائر بفرنسا من خلال التعاون الثقافي والاقتصادي، أما الاتجاه الثاني وهو المتحفّظ ومثله الأعضاء الذين اكتفوا بالتصويت على الاتفاقيات بالوكالة ونقصد هنا السجناء الخمسة⁽²⁾، وكان موقفهم بأن هذه الاتفاقية على الأقل حقّقت الحرّية والاستقلال للجزائر، أما الاتجاه الثالث وهو الثوري المعارض وقد مثّله قادة الأركان العامة لجيش التحرير، الذي عارض بشدّة الاتفاقيات واعتبرها لا تستجيب للتضحّيات التي قدّمها الشعب من أجل هذه الثورة⁽³⁾.

في نفس السّياق، فقد جاءت الرّدود الخارجية في معظمها مؤيّدّة لها واعتبرتها انتصارا للجزائريين وللتّورة الجزائرية على الطرف الفرنسي، وهذا ما عبرت عنه الجارتين تونس والمغرب باعتبارهما عاشتا وشاهدتا ما مرت به الثورة الجزائرية لأنّهما كانتا في كثير من الأوقات مسرحا للهجمات والمعارك وأهم الأحداث العابرة، واعتبرتا هذا الانجاز انتصارا كبيرا على الظلم والطغيان، كما أشاد الرئيس المصري جمال عبد الناصر على وقف إطلاق النار، واعتبره بداية النضال الفعلي والحقيقي بين الطرفين، نفس الموقف تبنته الدول الإفريقية التي اعتبرت هي الأخرى هذه الاتفاقية بمثابة انتصار عظيم لإفريقيا كلّها، وأنّ الثورة الجزائرية نموذجا للنضال والكفاح⁽⁴⁾.

(1) -إحدادن زهير، مرجع سابق، ص 97

(2) -أحمد بن بلة، محمد بوضياف، حسين أيت أحمد، رابح بيطاط، محمد خيضر.

(3) -حاروش نور الدين، مرجع سابق، ص 354، 355.

(4) -نفسه، ص 357، 358.

كما أكدت عدة دول أخرى دعمها لهذا الانجاز، من بينها يوغسلافيا ممثلة من طرف رئيسها جوزيف بروز تيتو Joseph Broz Tito، حيث قال أن إبرام هذه الاتفاقيات يعتبر مساهمة في تحقيق السلام والتسوية السلمية للمشاكل المتنازع عليها في العالم، وقام مباشرة بإرسال برقية إلى الرئيس بن يوسف بن خدة يعبر فيها عن رأيه، من جهة أخرى أبدى الرئيس الكوبي فيدال كاسترو Fidel Castro عن موقفه، عبر إرسال برقية عبر فيها عن سعادته بتحقيق الجزائريين لهذا الانتصار، مؤكدا فيها عن دعمه لاستقلال وتحزّر الجزائر ونبذ للإمبريالية والاستعمار، وقد توالى نفس الردود والمواقف من طرف رؤساء دول كبرى مثل الصين وسويسرا..... عبرت فيها عن آرائها بالإيجاب مؤكدة على دعمها دائما للجزائر⁽¹⁾.

أما بالنسبة لمختلف الانتقادات والردود السلبية التي وجهت لهذه الاتفاقية، فقد كان ردّ بن يوسف بن خدة في الآتي: "لقد قيل الكثير عن هذه الاتفاقيات، ووضعت كثير من نقاط الاستفهام حول بعض النصوص ممن اتخذوا الديماغوجية منها، واحترفوها أسلوبا لتحليلاتهم وتعليقاتهم السياسية، وهم بعيدون كل البعد عن الواقع الذي كانت تعيشه الثورة في الداخل والخارج، ومتغافلون عن طبيعة الظروف الدولية يومئذ بالنسبة للحرب الجزائرية فمنهم من اعتبر هذه الاتفاقية "حلا وسطا" ومنهم من اعتبرها "تراجعا أيديولوجيا عن أهداف الثورة"، ومنهم من ذهب بعيدا إلى الحد الذي اعتبرها "نوعا من الاستعمار الجديد"، وبالخصوص فيما يتعلق بوضعية الأقلية الأوروبية والقواعد العسكرية والعلاقات الثقافية والاقتصادية⁽²⁾، وتجاهل المهم والأهم وهي اعتراف فرنسا بالسيادة الجزائرية الكاملة على سائر التراب الوطني، هذا المبدأ وهذا الهدف الذي كان حلما من الأحلام فتحقق على أرض الواقع، ومن منطلق مبدأ العبادة

(1) نفسه، ص 359، 358.

(2) بن خدة بن يوسف، قصة المفاوضات مع فرنسا التي خاضتها الحكومة المؤقتة للجمهورية في هذا الشأن، مجلة أول نوفمبر، تصدرها المنظمة الوطنية للمجاهدين، عدد خاص، الجزائر، ص 33.

هذا لم يكن حل جميع المشاكل بما يتفق وطموحات الثورة وحسب المعطيات التي يتطلبها السيادة، ومقتضيات المرحلة الحاسمة التي كانت تعيشها الثورة آنذاك⁽¹⁾
علّق أيضا الدكتور لونيبي رايح عن الاتفاقية في مقال نشر له في جريدة الشروق اليومي يقول فيه: "يعد توقيع اتفاقية إيفيان في 18 مارس 1962 انتصارا كبيرا للثورة الجزائرية، ما دامت أنها حققت الهدف الاستراتيجي للثورة والمتمثل في الاعتراف الفرنسي التام بالسيادة الجزائرية على كل التراب الوطني والذي نصّ عليه بوضوح بيان أول نوفمبر 1954، ثم كرّسته أرضية الصومام في أوت 1956، وفي نفس الوقت يقول بأن هذا لا يعني أن هذه الاتفاقية حققت كل شيء للجزائر، بل ضمنّ تنازلات تكتيكية من قبل جبهة التحرير مقابل تحقيق الأهداف الإستراتيجية للثورة لأنه من المستحيل تحقيق كل شيء في أي مفاوضات كانت⁽²⁾.

نفس الرأي ذهب إليه سعد دحلب وهو حسب قوله لم يبحث عن تبرير لها، أو الدّفاع عن الموقعين عليها باعتبار أنها أصبحت منذ زمن طويل غير ذات موضوع، حيث وضح لكل من يدرس التاريخ وحرب التحرير... وغيرهم عدم الإصغاء لأناس غير مسؤولين⁽³⁾، بل المهم حسب رأيه هو تسجيل الموقف الإيجابي الذي رافقها والصدى الذي حققته والذي جاء باعترافات رؤساء وزعماء العالم مثل شونلاي وتيتو وفيدال كاسترو... الذين قاموا بمراسلة بن يوسف بن خدة عبر رسائل تهنئة، وبالتالي لا يمكن اتهامهم بالرجعيين وأصحاب ميولات مؤيدة للإمبريالية⁽⁴⁾.

خاتمة:

لم يكن تحقيق مسار المفاوضات واستدراج الفرنسيين للجلوس على طاولة مستديرة بالأمر الهين، بل اعترض طريقها العديد من التحديات والعقبات التي سبق

(1)- نفسه ، ص 33.

(2)- لونيبي رايح، "مواجهة الجزائر لتحديات غداة وقف إطلاق النار"، مقال منشور في جريدة الشروق اليومي، العدد 5041 الصادر يوم 17 مارس 2016، ص 7.

(3) دحلب سعد، المهمة منجزة من اجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب-الجزائر، 1986، ص، ص 162، 163.

(4)- نفسه، ص، ص 162، 163.

ذكر أهمها ،سواء الداخلية منها أو الخارجية وكانت حجر عثرة في طريقها، أين كانت السبب في إفشالها وتأجيلها، ولكن في الأخير تجاوزتها انتهت بالتوقيع على وقف القتال، وزادت من فاعلية وعزيمة جبهة التحرير الوطني في بلوغ الاستقلال، ومنه فإن تاريخ 19 مارس 1962م يمثل المنعطف الحاسم في هذه المسيرة الثورية وهذا بالتخلص من مختلف أنواع الاحتلال الذي خضع له الشعب الجزائري، وهكذا وقف المفاوض الجزائري صامدا في وجه المفاوض الفرنسي، وتمكّن من استرجاع الاستقلال بعد أكثر من قرن ونصف من الاحتلال.

قائمة المصادر والمراجع:

الأرشيف: أرشيف المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر المصنف تحت الرقم:

- Dossier :n1/Numéro :26H/Dates 1958-01
- Dossier :n9/Numéro :29H/Dates 1958-09
- Carton n°R24200 dossier 11A

المصادر والمراجع باللغة العربية

- 1-إحدادن زهير،المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية (1954- 1962)، ط1، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع ، حسين داي -القبّة، 2007،
- 2- أزغيد محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية (1956- 1962) ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- 3- أوليفي لونغ، الملف السري، اتفاقية ايفيان (مهمة سويسرية للسلم في الجزائر)، تر: أوذانييه، خليل، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012
- 4- بلحاج صالح، تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2009
- 5- بلحاج صالح، جذور السلطة في الجزائر، دار بن مرابط، الجزائر، 2014
- 6- بلحسين مبروك، المراسلات بين الداخل والخارج (الجزائر –القاهرة 1954- 1956) ، دار القصبّة للنشر، الجزائر، 2004.
- 7- بن حمودة بوعلام، الثورة الجزائرية (ثورة أول نوفمبر 1954) معالمها الأساسية، الجزائر، دار النعمان للنشر والتوزيع، 2012.

- 8- بن خدة بن يوسف، شهادات ومواقف، ط1، برج الكيفان، الجزائر، دار الأمة، 2007.
- 9- بن خدة بن يوسف، نهاية حرب التحرير في الجزائر-اتفاقيات ايفيان- تعريب: لحسن زغدار، محل العين جبائلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987.
- 10- بن فليس أحمد، السياسة الدولية للحكومة المؤقتة الجزائرية 1958- 1962، رسالة الماجستير، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 1985.
- 11- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997.
- 12- بورغدة رمضان، الثورة الجزائرية والجنرال ديغول (1958-1962)، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، 2012.
- 13- بورقعة لخضر، مذكرات سي لخضر بورقعة شاهد على اغتيال الثورة، ط1، الجزائر، دار الحكمة، 1990.
- 14- بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرنين 19 و20، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996 ج2.
- 15- تواتي دحمان، منظمة الجيش السري ونهاية الإرهاب الاستعماري في الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع، باب الزوار- الجزائر.
- 16- حاروش نور الدين، قراءة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الأمة للطباعة والنشر- الجزائر، 2012.
- 17- حماميد حسينة، المستوطنون الأوروبيون والثورة الجزائرية (1954-1962)، منشورات الحبر، الجزائر، 2007.
- 18- حماميد حسينة، المنظمة العسكرية السرية في الجزائر (1961-1962)، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 19- خامس سامية، 19 مارس 1962 مسيرة نحو النصر والتحرر من النير الاستعماري، مجلة الراصد، العدد 02، الأبيار- الجزائر، 2002.
- 20- خرشي جمال، الاستعمار وسياسة الاستيعاب والإدماج في الجزائر (1830-1962)، تر: عبد السلام عزيزي، دار القصة للنشر، الجزائر.

- 21- الداعي محمود، مظاهرات 11 ديسمبر 1960 وأثارها على القضية الجزائرية، إصدار جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في لأوراس، باتنة، 1994
- 22- دحلب سعد، المهمة منجزة من اجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب-الجزائر، 1986
- 23- ديفول شارل، مذكرات، تر: سموحي فوق العادة، ط1، منشورات عويدات، بيروت- لبنان.
- 24- الزبيري محمد العربي وآخرون، كتاب مرجعي عن الثورة الحربية (1954-1962)، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- 25- سعد الله عمر، القانون الدولي الإنساني والاحتلال الفرنسي للجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007
- 26- شريط عبد الله، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية 1962، مطبعة الشروق، منشورات وزارة المجاهدين، القبة-الجزائر
- 27- عباس محمد، نصر بلائمن (الثورة الجزائرية 1960-1961)، دار الحكمة للنشر، 2007.
- 28- عمراني عبد المجيد، جون بول سارتر والثورة الجزائرية (1954-1962)، دار الهدى، الجزائر.
- 29- فارس عبد الرحمن، الحقيقة المرة (مذكرات سياسية 1945-1965)، تر: مسعود حاج مسعود، منشورات دحلب، الجزائر، 2007
- 30- فاضلي إدريس، حزب جبهة التحرير الوطني عنوان ثورة ودليل دولة، ديوان المطبوعات الجامعية-بن عكنون، الجزائر، 2004.
- 31- قدا محفوظ، وتحررت الجزائر، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 2011.
- 32- لونيبي رابح، محطات وقضايا مفصلية في مسار الثورة الجزائرية ومستقبلها، دار المعرفة، الجزائر، 2012.
- 33- مالك رضا، الجزائر في ايفيان -تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962، تر: فارس غاصوب، ط1، دارالفارابي، لبنان، 2003.

34-يوسفي أحمد، منظمة الجيش السري ونهاية الثورة الجزائرية، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، موفم للنشر، الجزائر، 2011.

الدوريات والمجلات

1-بزيان سعدي، جرائم فرنسا في 17 أكتوبر 1961 بباريس من خلال المصادر الجزائرية الفرنسية، مجلة المصادر، العدد 06، الجزائر، 2002

2-بن خدة بن يوسف، قصة المفاوضات مع فرنسا التي خاضتها الحكومة المؤقتة للجمهورية في هذا الشأن، مجلة أول نوفمبر، تصدرها المنظمة الوطنية للمجاهدين، عدد خاص، الجزائر.

3-خامس سامية، 19 مارس 1962 مسيرة نحو النصر والتحرر من النير الاستعماري العدد 02، الأبيار- الجزائر، مجلة الراصد، 2002

4-مرتاض عبد المالك، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية (1954-1962)، 2010، الجزائر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

5-صاري أحمد، دور المهاجرين في الثورة التحريرية، مجلة المصادر، العدد 1، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1999، 1954.

6-لونيسسي رابح، "مواجهة الجزائر لتحديات غداة وقف اطلاق النار"، مقال منشور في جريدة الشروق اليومي، العدد 5041 الصادر يوم 17 مارس 2016

1 -Peirre Vallaud , La Guerre D'Algérie (de la conquête a l'indépendance (183-1962), Paris, Edition Acropole